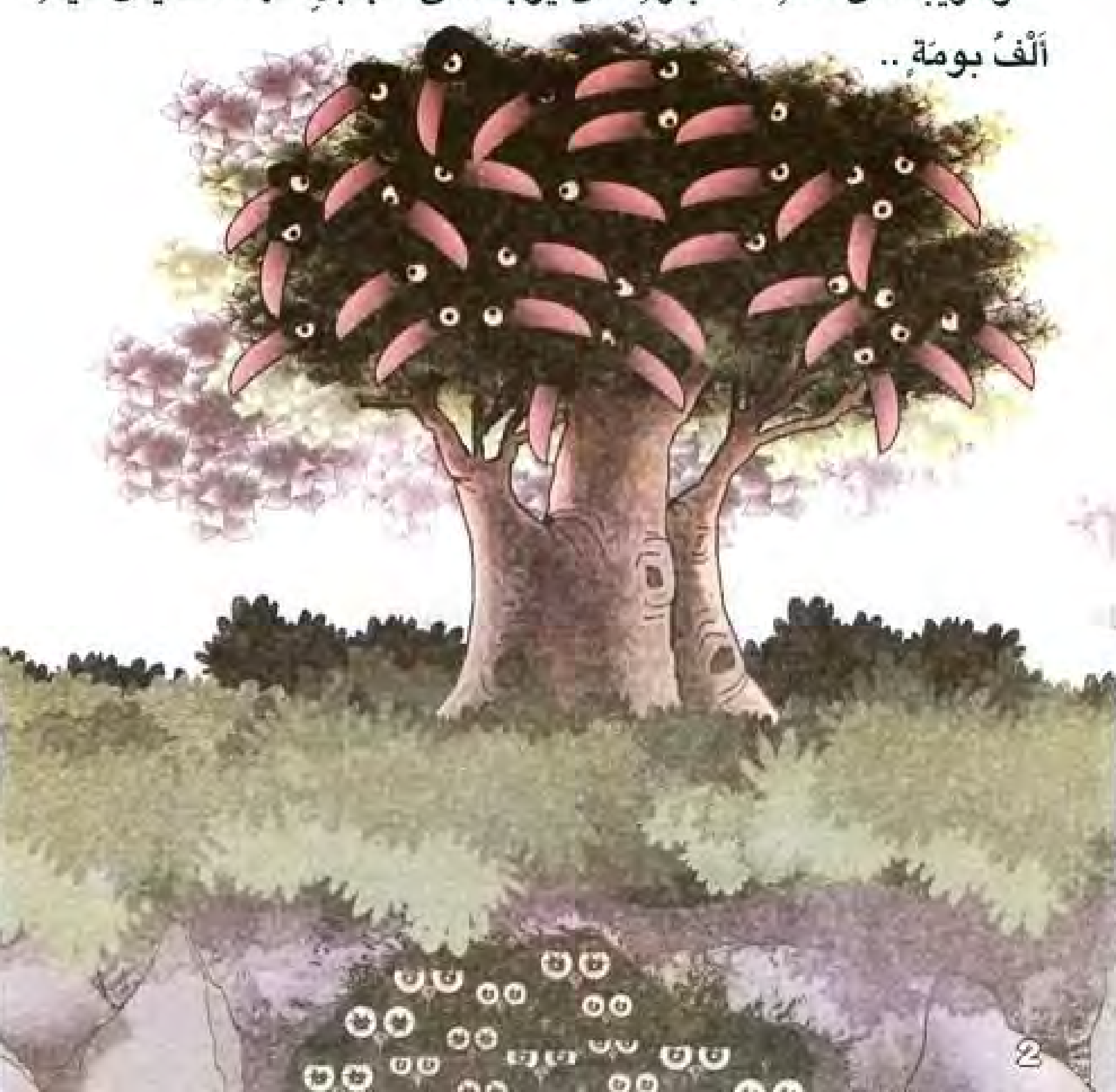

كايات كليلة ودمنة
11
حرب البوم و الغربان
بقلم: أ. عبد الحميد عبد المقصود
بريشة: أ. عبد الشافي سيد
إشراف: أ. حمدي مصطفى
طبع ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

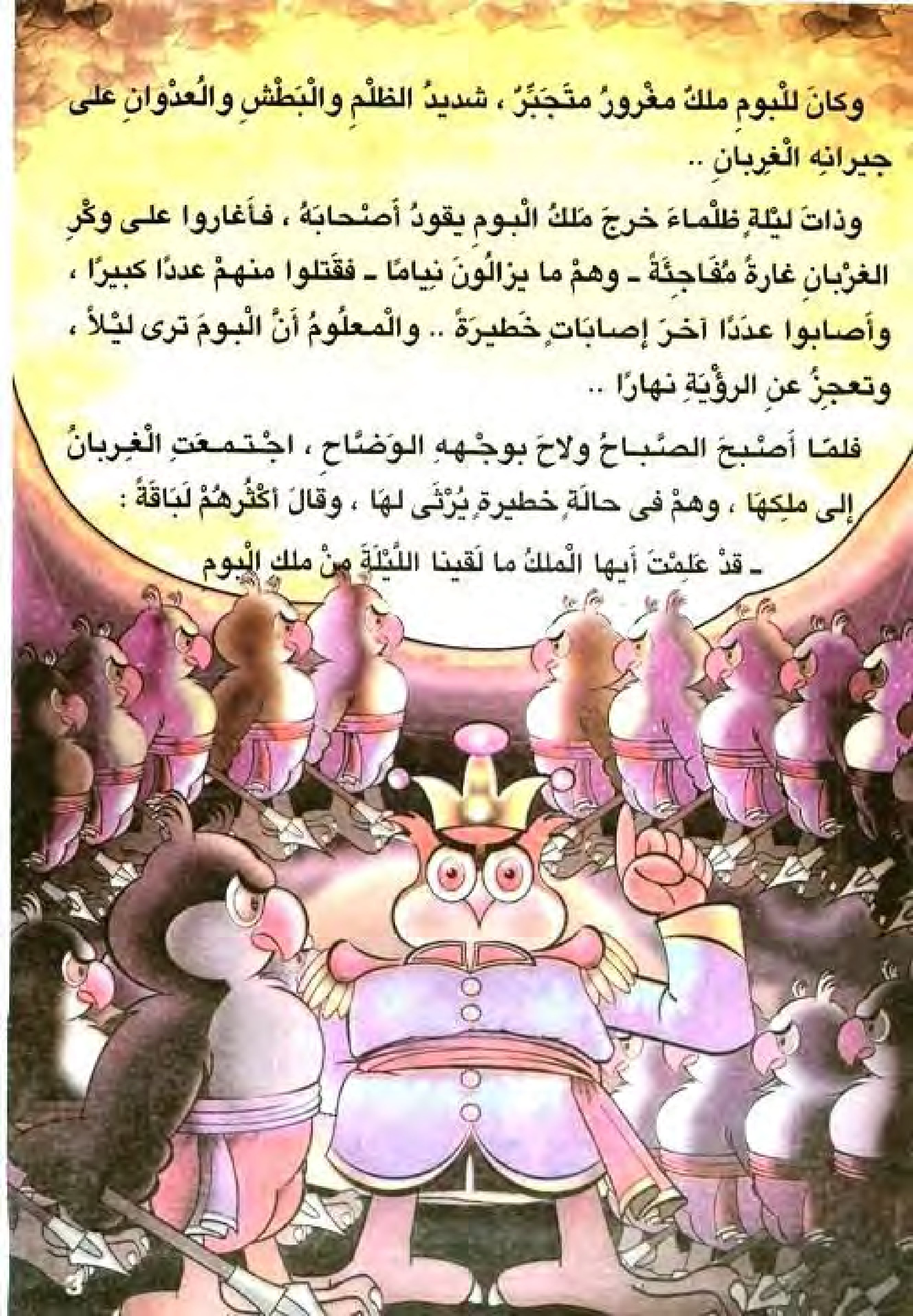
يُحْكَى أَنَّه كانَ فى جبلٍ منَ الْجبالِ شجَرةٌ ضخمَةٌ ، كثيرةُ الأَغْصانِ والْفرُوعِ ..

ويُحكَى أنه كانَ فى هذه الشَجرةِ وكْرٌ للغِربانِ ، يعيشُ فيهِ أَلْفُ غُرابٍ ..

وكانَ لِلْغِربانِ ملكٌ حكيمٌ عاقِلٌ ، لا يَقْضِى أَمْرًا قبْلَ أَنْ يشاوِرَ فيه الْعُقلاءَ منْ أَهلِ مَملكَتِهِ ، ويأْخذَ بَرأْيهمْ ..

وقريبًا منْ هذهِ الشجَرةِ كانَ يُوجَدُ فى الْجبلِ كهْفٌ تعيشُ فيهِ أَلْفُ بومَةٍ ..





وكانَ للْبومِ ملكٌ مغْرورٌ متَجَبِّرٌ ، شديدُ الظلْمِ والْبَطْشِ والْعدْوانِ على جيرانِهِ الْغِربانِ ..

وذاتَ ليْلةٍ ظلْماءَ خرجَ مَلكُ الْبومِ يقودُ أَصْحابَهُ ، فأَغاروا على وكْرِ الغرْبانِ غارةً مُفَاجِئَةً ـ وهمْ ما يزالُونَ نِيامًا ـ فقَتلوا منهمْ عددًا كبيرًا ، وأَصابوا عددًا آخرَ إصابَاتٍ خَطيرَةً .. والْمعلُومُ أَنَّ الْبومَ ترى ليْلاً ، وتعجزُ عنِ الرؤْيَةِ نهارًا ..

فلمَّا أَصْبحَ الصَّباحُ ولاحَ بوجْههِ الوَضَّاحِ ، اجْتمعَتِ الْغِربانُ إلى ملِكهَا ، وهمْ في حالَةٍ خطيرةٍ يُرْثَى لهَا ، وقالَ أكْثَرهُمْ لَبَاقَةً :

ـ قدْ علِمْتَ أيها الْملكُ ما لَقينا اللَّيْلَةَ منْ ملك الْبوم

وأعْوانِه .. لقدْ عَلِمُوا مكانَنَا وتَجَرْءُ وا على وطَنِنا ..

وراحَ ملكُ الْغربانِ يستعْرضُ رعَاياهُ وأَهْلَ مملكتِه حَزينًا ، فلمْ يرَ حوْلَهُ غيرَ قتيلٍ أوْ جريحٍ أوْ مكسُورِ الْجَناحِ أَو مَنْتُوفِ الرِّيشِ أَوْ مقطوعِ الذَّنَبِ ، فملأَتْهُ الْحَسْرَةُ وهدَّهُ الهَمُّ .. وتحدَّثَ غرابٌ آخرُ فقالَ :

- إنَ الأَهمَّ منْ ذلكَ أَنَّ أَعداءَنَا الْبُومَ ، بعدَ أَنْ علِمُوا مكانَنا وتجرَّءُوا عليْنا ، لا بدَّ أَنْ يعودوا إلينا ، وكلُّ هدفهِمْ هو استِئْصالُنا .. أَنْتَ ملِكُنا ويَجبُ أَنْ تعمَلَ علىَ حمَايتنَا منْ أَعْدائِنا ..

راحَ ملكُ الْغِربانِ يفكِّرُ فيما يجبُ علَيْهِ أَنْ يفْعلَهُ تجاهَ رَعَاياهُ ، لكنَّهُ لمْ يشأْ أنْ يقرِّرَ أَمرًا قبلَ أَنْ يسْتمِعَ إلى آراءِ



مُسْتَشَارِيهِ ، فرُبَّما أَفادوه برأيٍ لمْ يكُنْ فى حُسْبانِه ..

وكانَ لملكِ الْغِرْبانِ خمْسَةُ مُسْتَشارينَ ، فنظرَ إلى الأوَّلِ منهمْ قائلاً :

ـ ما رأْيُكَ فى هذهِ الْمُصيبةِ التى وقَعتْ على رُءُوسِنا جميعًا وُقوعَ الصَّاعِقَةِ ؟!

فقالَ الْمُستشارُ الأَوَّلُ :

ـ لا أَرى حَلاً لهذه الْكارِثَةِ سِوَى أَنْ نهرُبَ منْ عدُوِّنا لأنهُ قدْ تجرَّأَ علينا فى أَوْطانِنا ، ولنْ يدَعَنا نعيشُ فى سلامٍ بعْدَ الْيومِ ..

فنظرَ ملكُ الْغِرْبانِ إلى الْمُسْتَشارِ الثَّانى قائِلاً :

ـ وأنتَ ماذا ترَى ؟!



فقالَ المستشارُ الثّانى :

ـ لا أرَى إلاَّ ما رآهُ زَميلى .. ليْسَ أمامَنا إلاَّ الْهَرَبُ ..

فغضبَ مَلكُ الْغِربانِ وقالَ :

ـ ليسَ هذا برأْىٍ صائبٍ .. كيفَ نرْحَلُ عنْ أَوْطانِنا ، ونُخْليها لِعَدُوِّنا مِنْ أوّلِ مُصيبَةٍ أصابَتْنا مِنْهُ ؟! الرأْىُ الصّوابُ أنْ نجْمَعَ أمْرَنا ، ونستَعِدَّ لِلقاءِ عدُوِّنا .. أنْ نُشْعِلَ نارَ الحْربِ ونستعِدَّ للقاءِ عَدُوِّنا ، فنقاتِلَهُ قِتالَ الشُّجْعانِ .. قِتالاً نتحصَّنُ فيهِ بحُصُونِنا ، فنقْتُلَ مِنْه أكثَرَ ممَّا قتلَ مِنَّا ، ونُصيبُ مِنْه أضْعافَ ما أصَابنَا .. هذا هو الرأْىُ الذى أَراه ..

ونظرَ المَلِكُ إلى مُستشارِه الثَّالثِ قائلاً :

- وأَنْتَ ما رأْيُكَ فيما جرَى ؟!

فقالَ المُستشارُ الثالثُ :

- مِنْ رأْيِي ألا نبْدأَ حربًا ، حتى نُرسِلَ جواسيسَنا إلى عدُوِّنا ، فنعْلَمَ هلْ يُريدُ عدُوُّنا صُلْحَنَا ، أَمْ يريدُ حَرْبَنَا ، أَمْ أَنهُ فعلَ ذلك لِيُرْهِبَنا ويجْبُرَنا على دفْعِ الْفِدْيَةِ ؟! فإذا رأَيْناهُ طامعًا في مالٍ ، صالحْناهُ على فِدْيةٍ نؤَدِيها إلَيْهِ ، ندْفَعُ بها كَيْدَهُ ، ونرُدُّ عُدْوانَه ، فنعيشُ آمنينَ في ديارِنا ، ولا نرْحلُ عنْ أوْطانِنا ..فنظرَ ملكُ الْغرْبانِ إلى مُسْتشارِهِ الرابعِ قائلاً :

- وأَنتَ ماذَا ترَى في هذاالصُّلْحِ ؟!

- فقالَ المُستشارُ الرابعُ :

- لا أَراهُ رأْيًا صائبًا .. والرأْيُ عِنْدِي أَنَّنا لَو اضطُرِرْنا إلِى مُفارقةِ أَوْطانِنا ، فإِنَّ الصَّبْرَ على الْغُرْبةِ ، وشدَّةِ المْعيشةِ خيرٌ منْ أَنْ نُذِلَّ أَنْفُسَنا ، ونخْضَعَ لعَدُوِّنا ..



وسكتَ المُستشارُ الرابعُ حتى يلتَقِطَ أنْفاسَهُ .. ثم قالَ :

ـ وأنا واثِقٌ أنَّنا لو فعَلْنا ذلِكَ معَ الْبُوم ، فإنهُ سوْف يجْتَرِئُ عليْنا أكثرَ ، ولنْ يرضَى إلاَّ بخضُوعِنا وإذْلالِنا وسلْبِ أمْوالِنا ، والرأْيُ عِنْدِي أنْ نُجَهِّزَ أنفُسَنا لِمحارَبَتِه ..

فنظرَ المَلِكُ إلى مُستَشارِهِ الخَامِسِ وقالَ :

ـ وأنتَ ماذا ترَى فى هذهِ الآراءِ المَطْروحةِ ؟!

هلْ ترى أنْ نُقاتلَ عدُوَّنا ، أمْ نُصالحهُ ، أمْ نرحلَ عنْ أوطانِنا ؟!

فقالَ المُستشارُ الخَامسُ ـ ويَبْدو أنه كانَ أكثَرهمْ عَقْلاً وحِكْمةً :

ـ أمَّا الْقِتالُ ، فأنا أرى أنهُ لا سبيلَ لنا إلى قِتالِ عدُوِّنا ،



لأنهُ أقْوى مِنَّا .. وقدْ قالَ الحُكماءُ : مَنْ لا يعْرِفُ نَفْسَهُ ويعْرِفُ عَدُوَّهُ ، وأَقْدمَ على قِتالِ مَنْ لا يقْوَى عليْهِ ، أهْلَكَ نفْسَه .. والْعاقِلُ هو الذى لا يسْتَصْغِرُ عدُوَّهُ ، لأَن مَنِ استصْغَرَ عَدُوه اغْتَرَّ به ، ومَنِ اغْترَّ بعَدُوِّه لمْ يسلمْ مِنْهُ ..ولذلكَ فأنا أنْصَحُكَ أيها المْلِكُ بالابْتِعادِ عنْ قِتالِ الْبوُم ..

فاستْحْسَنَ المْلِكُ كلامَ مُسْتشاره .. ثم نظَر إليهِ قائلاً :

- هلْ تعلمُ أيُّها الْغُرابُ الحْكيمُ ، كيفَ كانتْ بِدايَةُ الْعَداوةِ بينَ الْبومِ والْغِرْبانِ ؟!

فقالَ المْستشارُ الخْامسُ :

- زَعمَ أَجْدادُنا أنَّ ذلكَ كانَ مُنْذُ سنوات طويلةٍ جدًا ، وأنَّ سببَ هذه الْعداوَةِ يرجعُ إلى أنَّ جماعَةً مِنْ طائرِ الْكَرْكِى لمْ يكنْ لها مَلِكٌ ؛ فاجْتمعَتْ ذاتَ يَوْمٍ وقرَّرَتْ أنْ تجعلَ ملكَ الْبومِ مَلكًا عليْها ..



وبيْنَمَا جماعَةُ الكَرْكِى فى اجْتماعِها رأتْ غُرابًا يحجلُ قريبًا منْها ، فاستشارَتْهُ جماعَةُ الْكَرْكى فيما قرَّرَتْه منَ اخْتيارِ ملكِ الْبومِ ملِكًا لها ..

فقالَ ملكُ الْغربانِ :

ـ وماذا قالَ ذلكَ الْغُرابُ ؟!

فقالَ المْستشارُ الخْامسُ :

ـ قالَ الْغُرابُ : كيفَ تمَلِّكْنَ ملكَ الْبوم عليْكُنَّ ؟! أما علِمْتُنَّ أنَّ الْبومَةَ هى أقْبحُ الطُّيورِ منْظرًا ، وأسْوَؤُها خُلُقًا ، وأقلُّها عقْلاً ، وأشدُّها غضَبًا ، وأقلُّها رحْمةً بمخلوقاتِ اللهِ ؟! هذا بالإضافةِ إلى ضعْفِ بَصرِها نهارًا .. والْبومُ بالإضافةِ إلى ذلكَ طائرٌ مشْئومٌ يتضايَقُ الناسُ منْ رؤْيَتِه ..

وراحَ الْغُرابُ يعدِّدُ مساوئَ الْبومِ ، وينصَحُ جماعَةَ الكرْكيِّ بعَدَمِ تمليكِهِ عليْها مهمَا كانتِ الظُّروفُ .. فلَمَّا سمعَتْ جماعَةُ الكرْكِيِّ ذلكَ أعْرضَتْ عنْ تمليكِ ملكِ الْبُومِ عليْها ..



فقالَ ملكُ الغربانِ :

ـ وماذا حدث بعْدَ ذلكَ ؟!

فقالَ المُستشارُ الخَامسُ :

ـ كانتْ هُناكَ بومَةٌ حاضِرةٌ ، فسمعَتْ كُلَّ ما قالَه ذلك الْغرابُ ، ونقلَتْهُ إلى ملكِ الْبومِ ، فغضِبَ غَضَبًا شديدًا ، وقالَ لِلْغُرابِ : لقدْ آذَيْتني أَذًى شديدًا ، لنْ يمْحَى منْ قلْبى أبدًا ، برَغْمِ أنى لمْ يسْبِقْ منى أنْ وجَّهْتُ إليكَ إِذًى أَوْ إهانَةً .. لقدْ غرسْتُمْ معاشِرَ الْغِربانِ بيْنَنا وبينكُمْ شجرَ الحقْدِ ، وأشْعَلْتم نارَ الْعَدَاوةِ والْبَغْضاءِ ..

فلما سمعَ الْغرابُ ذلك علمَ أنهُ أخْطأَ فى حقِّ الْبوم ، وندِمَ ندَمًا شديدًا على ما صدرَ منْهُ منْ قوْلٍ فيه إهانَةٌ لِلْبومِ ..

وبعْدَ أَنْ ثابَ الْغرابُ إلى رُشْدِهِ ، قالَ فى نفْسِهِ :

واللهِ لقدْ تجاوَزْتُ فى قوْلى هذا الْغَبِىِّ ، الذى جَلَبْتُ بهِ الْعداوَةَ والْبغْضاءَ على نفْسِى وعلى قَوْمى ..



لَيْتَنى لمْ أُخْبِرْ جماعَةَ الْكرْكِى بما أَخْبَرْتُهم به منْ أمرِ الْبوُمِ .. إنَّ كُلَّ الطَّيْرِ تعلَمُ منْ أَمْرِ الْبومِ ومسَاوِئِهاَ أكْثَرَ مما أَعْلَمُ ، ولكَنْ منَعَها مِنَ الْكلامِ بمثْلِ ما تكَلَّمتُ به الخَوْفُ مِن جلْبِ عداوةِ الْبومِ لهاولقَوْمِها .. إن العَاقِلَ ـ حتَّى ولوْ كانَ واثقًا بقوَّتِه ـ لا ينْبَغِى أَنْ يحملهُ ذلكَ على جَلْبِ الْعداوةِ لنفْسِهِ ولقَوْمِهِ ..

فقالَ مَلكُ الغربانِ :

ـ وماذا تَرى أَيُّها المُسْتشارُ الْعاقلُ منْ حَلٍّ لما نحنُ فيه منْ شدَّةٍ وكَرْبٍ الآنَ مع عدُوِّنا الْبومِ ؟!

فقالَ المستشارُ الخَامسُ :

ـ عِنْدى منَ الحْيلَةِ والرأْىِ والمكيدَةِ ما أَرى فيه مَخْرجًا لما نحنُ فيه منْ همٍّ ، وكربٍ ـ إنْ شاءَ اللَّهُ (تعالَى) ـ فَرُبَّ قوْمٍ قدِ احْتالوا بآرائِهِمْ ،



حتى ظَفِروا بما أَرادوا ، ونالُوا كلَّ ما تَمَنَّوْا ..

فقالَ ملكُ الْغربانِ :

ـ اعْـرِضْ عَلَـىَّ كلَّ مـا تـفكِّرُ فـيـه أَيهـا الحْكيمُ ، فـأَنا كُلِّى آذانٌ صاغِيَةٌ ، وأَنتَ تعْلَمُ أَنَّنِى أُقَدِّرُ رأْيَكَ حقَّ قَدْرِهِ ، وأَحترِمُه منْ بيْنِ جميعِ الآراءِ ..

فسكَتَ المْستشارُ الخْامسُ قليلاً .. ثم قالَ شارِحًا خطَّتَهُ التى استقَرَّ عليْها رأْيُهُ بعْدَ تفكيرٍ طويلٍ :

ـ أُرِيدُ منَ المْلِكِ أَنْ يأْمُـرَ جنُودَهُ بنَقْـرى ونتْفِ رِيشى وذَيْلى ،



ثم يأمُرُ بإلْقائى عنْدَ جذْعِ هذه الشَّجرةِ التى نعيشُ فيها ..

فتعجَبَ المْلكُ ، وتعجَبَ كلُّ الحاضرينَ منْ كلامِ المُسْتشارِ الخامسِ ..

وقالَ المْلِكُ مُستنكِرًا :

- كيفَ تُطاوِعُنى نفْسى أنْ أفْعلَ ذلك فى أعْقَلِ وأحْكَمِ أعْوانى وأعزِّ أصْدقائى ؟!

فقالَ المْستشارُ الخامسُ فى إصرارٍ :

- من أجْلِ الأهْلِ والأوطانِ يَهُونُ كلُّ شئٍ ، حتَّى النَّفس يا مَلكَ الغِربانِ ..



فقالَ المَلِكُ :

- وما هى خطتُكَ فى ذلك ؟! فقالَ المُستشارُ الخَامسُ :

- بعْدَ أَنْ تفْعَلوا بى ذلكَ ، أَرْجو أَنْ ترحلَ أيُها المَلكُ بجنُودِكَ ، وبكُلِّ مُجْتمعِ الْغربانِ إلى مكانٍ بعيدٍ آمنٍ لأَهْلى وقوْمى ، وتَنْتظِرُون هُناكَ ، حتى أَدْخلَ فى مجتمعِ الْبومِ وأَعيشَ بينهُمْ ، فاخْتَلِطَ بهمْ ، وأَطَّلِعَ على كلِّ أَحْوالهِمْ ، فاستطيعَ أنْ أُحَدِّدَ نِقاطَ ضَعْفهم ، وأعرفَ مَدَى قوَّتهِمْ وتَحْصيناتِهِمْ ، ثمَّ أهْربَ وآتىَ إليْكُمْ لنَهْجُمَ عليْهِمْ فى الْوَقْتِ المناسِبِ وننَالَ مِنْهُمْ ثأرنا بإذْنِ اللّهِ (تعالَى) ..



وبرَغْمِ اقْتِنَاعِ الملِكِ بما عرضَهُ عليْهِ مُستَشَارُهُ الخَامسُ منْ خِطَّةٍ فيها كَيْدٌ للأعْداءِ ، إلاَّ أنهُ ظلَّ يراجِعُه أكْثرَ منْ مرةٍ قائلاً :

- هلْ تطيبُ نفْسُكَ بهذا العملِ البُطُولِيِّ الذى قدْ تدفعُ فيه حياتَكَ ، وتضحِّى فيه بنَفْسِكَ ؟!

وفى كلِّ مرةٍ كانَ الملكُ يتلقَّى جوابَ مُستَشارِهِ الخَامسِ بالرِّضَا والقَبُولِ لهذا العَمَلِ الخَطيرِ الذى سيقومُ به ..وهكذا رحلَ مَلِكُ الغربانِ معَ جنُوده وكلِّ مجتمعِ الغربانِ ، بعْدَ أنْ نتَفُوا ريشَ المُستشارِ الخَامسِ وآذَوْهُ بالنقْرِ والضَّرْبِ .. ثم تركوهُ على الأرضِ بجوارِ جِذْعِ الشجَرةِ ، ليلاقىَ مصيرَهُ المحتُومَ ، فهل ينجَحُ فى مُهِمَّتِه ، أمْ تكُون فيها نِهايَتُه ؟!

